محاضرة:

الانتحال وتأصيل الشعر.

تُعدّ قضية الانتحال من أبرز القضايا التي شغلت بال النقاد قديماً وحديثاً. ولعل أول ناقد تطرق إلى المسألة في عصر التدوين والتأليف هو **ابن سلام الجمحي** في كتابه (طبقات الشعراء)، على الرغم من المؤشرات الدالة بأن بعض الرواة قد نوّهوا بفكرة الشعر المنتحل؛ كخلف الأحمر، والمفضل الضبي، إلاّ أن **ابن سلام**: «كان أشد اهتماماً بها، فتوسع في شرح الجوانب النظرية التي أقامها في الموضوع من أجل تبيان جميع الملابسات التاريخية التي اتصلت به.

وقد أرجع **ابن سلام** بواعث الانتحال إلى سببين هما:

-**الأول**: يتمثل في تواطؤ بعض الرواة في انتحال الشعر، وإفساده على نحو ما فعل حماد الراوية وابن إسحاق.

-**الثاني**: يتمثل في قلة الأشعار لدى بعض القبائل العربية، فأرادت تخليد أمجادها في الشعر، فراحت تنتحل أشعار غيرها من القبائل. يقول ابن سلام بهذا الصدد: «فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها، استغل بعض الشعراء شعر شعرائهم، وما ذهب من ذكر وقائعهم وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار، فقالوا على ألسن شعرائهم»

كما حاول ابن سلام تحديد أبعاد إشكالية الانتحال، ليربطها بالمجتمع الشفوي الذي ساد قبل القرن الثاني الهجري، فلم يكن هناك ديوان مدوّن، ولا كتاب يحفظ ما تداولته الألسن من أشعار، أضف إلى ذلك هلاك الرواة والحُفّاظ، لتأخذ المسألة بُعداً عصبياً تجلى في الصراع على تخليد الأمجاد ولو بالسطو والإغارة على أشعار الغير.

وعلى صعيد أخر أشار ابن سلام إلى أثر الحضرية على الشعر، ممثلاً بشعر عدي بن زيد الذي لان لسانه، فحمل عليه الرواة الشيء الكثير، كما نوّه بشيوع تداخل الأشعار ببعضها، مما حمل الناس على إلحاقها بمن اكتسب الشهرة في ذلك الغرض. يقول ابن سلام: «لأن العامة الحمقى قد نهجت بأن تنسب كل شعر في المجون إلى أبي نواس، وكذلك تصنع في أمر مجنون بني عامر، كل شعر فيه ذكر ليلى تنسبه إلى المجنون.»

-المستشرقون وقضية الانتحال:

اهتم المستشرقون بقضية الانتحال على نحو ما فعل المستشرق الإنجليزي **مرجليوث** الذي كان أستاذ اللغة العربية بجامعة أوكسفورد، فألّف كتاباً بعنوان "منشأ الشعر العربي"، أقرّ فيه بأنّ الشعر الجاهلي ينسب إلى العصور الإسلامية، فنحله الواضعون لشعراء الجاهليين. وقد أورد **مرجوليوث** مجموعة من القرائن الدالة على أن الشعر الجاهلي منحول، ومن بينها:

-استحالة الاحتفاظ بالشعر الجاهلي منذ أن قيل حتى القرن الثاني للهجرة؛ أي بداية عصر التدوين.

-إن لغة الشعر الجاهلي تشبه كثيراً لغة القرآن الكريم، ولا تشبه لغات العرب.

-إن الشعر قبل الإسلام كان مبهماً غامضاً، في حين أنّ الذي وصلنا على درجة كبيرة من النضج والتهذيب.

-وجود إشارات إسلامية في الشعر الجاهلي (ذكر القيامة، السجود، الركوع...)

يقول **مرجليوث**: «وإذا صرف النظر عن بعض الخصائص اللهجية النادرة، فإنّ اللغة الشعرية ذات وحدة ظاهرة، فمن المستحيل- والحال هذه - قبول الآثار الشعرية على أنها أصيلة، كالتي مثلاً نسبت إلى عرب الجنوب، والتي لا تعكس أي أثر للغة الأم عند أصحابها»

وفي سياق مماثل تناول المستشرق الألماني (**نولدكه**) قضية الانتحال، مشيراً إلى الشكوك التي يثيرها الشعر الجاهلي، مؤكداً أنّ عدداً قليلاً من القصائد الجاهلية يمكن القطع بصحتها، وهو المنحى الذي نحاه المستشرق (**آهولوارد**) الذي صرح بأنّ القصائد المروية غير موثوق بصحتها، سواء من ناحية المؤلف، أو ظروف النظم، أو ترتيب الأبيات.»

-موقف طه حسين من قضية الانتحال: طرح طه حسين إشكالية الانتحال في مؤلفه (في الشعر الجاهلي) ، فنفى وجود الشعر الجاهلي جملة وتفصيلاً قائلاً: « وأكاد لا أشك في أنّ ما بقي من الشعر الجاهلي الصحيح قليل جدا لا يمثل شيئاً، ولا يدل على أي شيء، ولا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصورة الأدبية الصحيحة لهذا العصر الجاهلي».

وقد ركز **طه حسين** فيما ذهب إليه على الاختلاف الموجود بين اللهجات العربية، إضافة إلى العصبية وما يتصل بها من منافع... وقد أثارت آراؤه حفيظة كثير من الباحثين والأدباء والمؤسسات الدينية؛ مثل جامع الأزهر الذي أصدر فتوى بسحب الكتاب من المطابع والأسواق.

وقد ظهرت كتب كثيرة التي راحت تنتقد منهج طه حسين في دراسته للشعر الجاهلي، مستدلة باستحالة تطبيق منهج الشك الديكارتي على الشعر الجاهلي. إضافة إلى مبالغة طه حسين في الاستناد على آراء المستشرقين والرواة غير الثقاة؛ أمثال حماد الراوية وابن إسحاق.. ومن أشهر تلك المؤلفات يمكن ذكر ما يلي:

- في الشعر الجاهلي (محمد فريد وجدي).
- نقض كتاب في الشعر الجاهلي (محمد أحمد العبراوي).
- تحت راية القرآن (مصطفى صادق الرافعي).